اكتساب وتعلم اللغة العربية لغة ثانية ولغة أجنبية

اعداد
خالد الانصاري
مختبر تحليل وتقويم أنظمة التربية والتكوين
كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب

Doi: 10.12816/jnal.2020.69604
الاستلام : ٢٦/ ١٠ /٢٠١٩ القبول : ٢٨ / ١١ /٢٠١٩

المستَخلص :
هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مجال تعليم وتعلم اللغة العربية للصغار والكبار، وما يطرحه من تساؤلات وإشكالات تتعلق بطبيعة اللغة المتعلّمة وبطبيعة المتعلم وثقافته ولغته والاختلافات اللغوية والصعوبات التي يواجهها في تعلمه للغة العربية، وأيضا ما يتعلق باكتسابها وتعلمها، باعتبارها لغة أولى أو لغة ثانية أو لغة أجنبية. فقد شغل مجال اكتساب وتعلم اللغة الكثير من الباحثين والمهتمين بتعليم وتعلم اللغات، ووضعوا في ذلك فرضيات واستراتيجيات تحدد الفرق الجوهري بين نظام اكتساب اللغة ونظام تعلمها. لذلك ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن بعض الإشكالات الأساسية من قبيل؛ الفرق بين اكتساب اللغة وتعلمها، وهل يمكن أن نتحدث عن اكتساب اللغة العربية في مراحل عمرية متقدم بالنسبة لمتعلم اللغة العربية من غير أبنائها؟ أم يبقى التعلم بعد مرحلة الطفولة ضرورياً؟ وهل يبقى الاكتساب اللغوي رهينا بمرحلة الطفولة، أم يمكن أن نتحدث عن اكتساب الكفاية اللغوية بعد مرحلة الطفولة؟. وسنوضح ذلك بالاستفادة من تجربتنا في ميدان تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالمغرب، مركزين فيها على بعض الصعوبات التي تواجه متعلم اللغة العربية من أبنائها وغير أبنائها، والاختلافات بين اللغة العربية الفصحى واللهجات المختلفة.

الكلمات المفاتيح: الاكتساب، التعلم، اللغة الأولى، اللغة الثانية، اللغة الأجنبية

مقدمة

حظي مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها باهتمام كبير من لدن المهتمين والباحثين، نظرا للانتشار الواسع لهذه اللغة، وللإقبال الكبير على تعليمها وتعلمها، لذلك اهتم الدارسون والمتخصصون في تعليم اللغات بالبحث عن سبل وطرائق كفيلة بتعليم هذه اللغة. "فهي تطرح كباقي اللغات المراد تعليمها وتعلمها إشكالا، يتجلى في نقل الخصائص اللغوية التي تفرزها الأبحاث في مجال اللسانيات، وعلوم اللغة عموما، إلى

مجال التعليم لتصير مادة قابلة للتدريس. فإذا كان المرور من العلمي إلى التعليمي يتم عبر قنوات النقل بشكل يراعي مستويات المتعلمين وخصوصياتهم في المواد العلمية، فإن أمر تعليم اللغة أعقد وأكثر خصوصية، من ناحية كون اللغة هي الموضوع المدرَّس وهي أداة التدريس في آن واحد (النهيبي، ٢٠١٧)."

كما أن تعليم اللغة العربية لأبنائها يختلف عن تعليمها لغير أبنائها، اختلافا كليا، فما ينطبق على تعليمها لأبنائها، قد لا ينطبق على تعليمها لغير أبنائها؛ وأول أمر يمكن أن نقف عليه؛ هو الاختلاف الكبير بين المتعلمين، فلا يمكن أن نفصل بين اللغة والثقافة، فاللغة العربية تعلم انطلاقا من ثقافتها، ومتعلم اللغة العربية من غير أبنائها، متعلم بعيد عن الثقافة العربية، أي أنه يتعلم لغة جديدة وثقافة جديدة، بخلاف متعلم العربية من أبنائها، الذي قد لا يجد صعوبة كبيرة في تعلمها والتحدث بها، لأنه نشأ وترعرع في الثقافة العربية. لذلك فمتعلم اللغة العربية الأجنبي يبذل مجهودا مضاعفا لفهم اللغة والثقافة.

لكن تعلم اللغة العربية، يضعنا أمام إشكال تدريسها باعتبارها لغة أولى لأبنائها أم لغة ثانية باعتبار اللهجات المختلفة التي يتحدثها الطفل الذي نشأ وترعرع في بيئة وثقافة عربية التي قد تختلف عن اللغة العربية الفصحى اختلافا كليا، نطقا وصوتا وحرفا. كما أن تدريس اللغة العربية لغير أبنائها يضعنا أمام إشكال اكتساب المتعلم للغة العربية داخل بيئتها الأصلية وانغماسه الكلي فيها أم تعمله لها في بيئته الأصلية، والتعلم باعتبارها لغة ثانية أم لغة أجنبية.

١. اللغة العربية بين الاكتساب والتعلم

يتطلب البحث في قضايا تعليم وتعلم اللغات الدقة في استخدام المصطلحات، لذلك يمكن أن نميز في تعلم أي لغة كيفما كانت بين اللغة الأصلية واللغة الهدف، باعتبار الأولى هي اللغة التي يكتسبها الطفل في مراحله الأولى، ويطلق عليها اللغة الأم أو اللغة الأولى. أما اللغة الهدف فهي اللغة التي ينشد المتعلم تعملها وقد تكون هي اللغة الثانية أو اللغة الثالثة. ويطرح تعلم اللغة العربية إشكالاً، يتجلى في طبيعة هذه اللغة واختلافها عن النسق اللغوي للغات الحية الأخرى، شكلا وخطا وحرفاً، وأيضا في اكتسابها وتعلمها.

لقد ميز ريتشاردز (Jack C. Richards، ١٩٩٦) بين اكتساب اللغة وتعلمها؛ فالاكتساب اللغوي هو تعلم اللغة الأم أو اللغة الأولى، ويُطلق عليه "اكتساب اللغة الأولى". وتعلم اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية يسمى "اكتساب اللغة الثانية"، وغالبا ما يفضل استخدام مصطلح اكتساب على مصطلح التعلم، لأن هذا الأخير ارتبط بالنظرية السلوكية، وقد اهتم باكتساب اللغة ودراستها؛ اللسانيون والأخصائيون النفسيون واللسانيون التطبيقيون، من أجل محاولة فهم العمليات المستخدمة في تعلم اللغة،

والمساعدة على تحديد مراحل تطور عملية الاكتساب والتعلم، وذلك من أجل إعطاء فهم أفضل للغة.

في بحثنا عن الفرق بين التعلم والاكتساب، لاحظنا أن هناك من يميز بينهما، وهناك من لا يميز بينهما باعتبارهما يشيران إلى نفس المعنى، وقد ارتبط مصطلح التعلم أساسا بنظريات التعلم، التي حددت هذا المصطلح تحديدا دقيقا، يختلف من نظرية إلى أخرى، وقد حدد (غريب، ٢٠٠٦) في معجم المنهل التربوي الفرق بين الاكتساب والتعلم، "في أن اللفظ الأول يفيد انتهاء التخزين في الذاكرة لما تم تعلمه؛ أي انتهاء فترة التعلم لمسألة ما؛ بينما يفيد اللفظ الثاني الشروع في حل مسألة جديدة، بالاستعانة بالمكتسبات السابقة." والتعلم حسب النظرية السلوكية هو التعديل المستمر للسلوك، وتقديم استجابة جديدة لمثير لم يكن في السابق يثير الاستجابة. ويشير إلى أن التعلم عملية اكتساب لسلوك أو تصرف معين (معارف، حركات، مواقف، مهارات...)، ويتم هذا الاكتساب في وضعية محددة، ومن خلال التفاعل ما بين الفرد المتعلم والموضوع الخاص بالتعلم.

ويمكن التميز بين تعلم اللغة واكتساب اللغة، في أن الأولى يقصد به العملية الواعية، المخطط لَها من أطراف عديدة؛ لتمكين الفرد من تعلم اللغة الثانية، أو الأجنبية، وتتم هذه العملية، عادة، في مرحلة متأخرة من العمر، بعد مرحلة الطفولة المبكرة. ومن أهم ما يميز تعلم اللغة عن اكتساب اللغة ما يلي؛ اختلاف الدوافع في الحالتين؛ فالفرد في حاجة إلى اللغة الأم، لأداء وظائف حياته الأساسية، أما بالنسبة للغة الأجنبية، فالدوافع خارجية، فقد تكون ثقافية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية. ومن ناحية أخرى تختلف البيئة في الحالتين؛ فاكتساب اللغة، يتحقق في مجتمع اللغة، بشكل طبيعي، حيث يتعرض الطفل بصورة مستمرة للغة الأم، أما متعلم اللغة، فيتلقاها في بيئة مصطنعة، وفي فترة قصيرة، ومن معلمين غير ناطقين أصليين غالبا. وتنعكس تلك الاختلافات على الطرق والأساليب، والمادة التعليمية (الفوزان، ٢٠١٠).

وتعد قضية اكتساب وتعلم اللغة، من القضايا الأساسية التي اهتم بها الكثير من الباحثين في مجال اللسانيات التطبيقية، وخاصة تعليم وتعلم اللغات، وقد ميز (Krashen، ٢٠٠٩) بين التعلم والاكتساب من خلال فرضياته الأساسية في اكتساب اللغة الثانية، فينطلق في تمييزه من فرضية الاكتساب والتعلم، إذ يؤكد أنها الفرضية الجوهرية والأساسية من بين كل الفرضيات الأخرى التي تهم اكتساب اللغة الثانية، إذ نجد أنه ميز بين طريقتين في تعلم اللغة الثانية؛

فالطريقة الأولى هي اكتساب اللغة؛ وهي الطريقة نفسها التي يطور بها الأطفال كفايتهم اللغوية ويكتسبون لغتهم الأم، وتعتبر عملية الاكتساب اللغوي عملية لا واعية يكتسب فيها الطفل اللغة بشكل طبيعي في الحياة اليومية، فعادة لا يدرك المتكلم باللغة أنه

يكتسب اللغة. في المقابل لديه إدراك تام أنه يستخدم هذه اللغة في التواصل مع الآخرين. وبالتالي فعملية اكتساب الكفاية اللغوية تكون بشكل لا واعي، وبصفة عامة فالشخص لا يدرك القواعد اللغوية الصحيحة التي اكتسبها، لكنه ومع ذلك لديه إحساس أو شعور بصحة أو خطأ أي جملة ينطقها أو يسمعها؛ أي أنه يعرف مدى صحة أو خطأ الجملة نحوياً، رغم عدم معرفته بالقاعدة الأساسية.

أما الطريقة الثانية لتطوير الكفاية اللغوية في اكتساب اللغة الثانية فهي تعلم اللغة، وقد استخدم كراشن مصطلح "تعلم" للإحالة على تعلم اللغة الثانية والوعي بها ومعرفتها والقدرة على التحدث بها، ويقصد بالتعلم؛ المعرفة عن اللغة، وقد يطلق على عملية تعلم اللغة التعلم الرسمي أو التعلم الصريح. أي التعلم الذي يكون نظاميا داخل المؤسسات التعليمية.

افترض بعض منظري اللغة الثانية أن الأطفال يكتسبون اللغة في مراحل مبكرة من نموهم اللغوي، بينما الكبار يتعلمون فقط؛ أي لا يمكن أن نتحدث عن الاكتساب اللغوية لدى الكبار، لكن فرضية التعلم والاكتساب لدى كراشن (Krashen، ٢٠٠٩) تذهب خلاف ذلك، فهي تؤكد أن البالغين يكتسبون اللغة أيضاً، وأن القدرة على التقاط واكتساب اللغة لا تختفي عند سن البلوغ، بل تبقى مستمرة إلى مراحل متقدمة، ومع ذلك فهذا لا يعنى أن الكبار قادرين على تحقيق مستويات شبيهة بالناطقين الأصلين للغة، بل يعني الوصول إلى نفس الجهاز الطبيعي الذي يستخدمه الأطفال في اكتسابهم للغة، وختم كراشن حديثه بتأكيده على أن الاكتساب عملية قوية جداً لدى الكبار.

وقد اعتبر "شتيرن" (Stern.H.H، ١٩٩١) أن هناك فرصاً متنوعة ومتواصلة لاستخدام اللغة داخل بيئة هذه اللغة؛ أي في المجتمع الذي يتحدث هذه اللغة، إذ يتعامل المتعلم يوماً بعد يوم مع اللغة كوسيلة اتصال توفر له فرصاً أكبر لاستيعاب أو اكتساب اللغة، الأمر الذي يختلف عن اكتساب اللغة في مرحلة الطفولة. ويتم التعامل مع اللغة الثانية بشكل أكثر تعمدا وأكثر تحليلا داخل الفصول الدراسية، وهذه الأخيرة هي المكان الرئيسي لتعلم اللغة من خلال الدراسة المنهجية والممارسة المتعمدة للغة. وللتمييز بين اكتساب وتعلم اللغة بالنسبة لظروف التعلم قدم "شتيرن" Stern الشكل التالي؛

	الفصل الدراسي	بيئة اللغة
تعلم اللغة	احتمال قوي	احتمال ضعيف
اكتساب اللغة	احتمال ضعيف	احتمال قوي

من خلال هذا الشكل الذي قدمه "شتيرن" يتضح الفرق بين اكتساب اللغة وتعلمها؛ فاحتمالية تعلم اللغة بشكل منظم وداخل الفصول الدراسية كبير جداً، مقارنة بمحاولة اكتسابها داخل المجتمع الذي يتحدث هذه اللغة، أما اكتساب اللغة داخل الفصول

الدراسية وببرامج تعليمية معدة مسبقا فاحتمالية وقوع ذلك ضعيفة، مقارنة باكتساب اللغة في بيئتها. وما يُلاحظ أن "شتيرن" لم يقل باستحالة الأمر ولكن تركه ضعيفا ونسبيا.

حسب ما قدمه "شتيرن" فاحتمالية تعلم اللغة تزداد داخل الفصول الدراسية، بينما تقل احتمالية ذلك عند محاولة اكتسابها في بيئتها الطبيعية، والملاحظ أن هذا ينطبق على المتعلم الناضج، أي الذي تجاوز مرحلة الطفولة، واكتمل نسقه اللغوي. بخلاف الطفل الذي تزداد نسبة اكتسابه للغة ما أو أكثر من لغة داخل بيئة اللغة الطبيعية، أو الذي تعرض لأكثر من دخل لغوي. ورغم ذلك فهذا لا ينفي أن يكتسب المتعلم الناضج اللغة الثانية أو الأجنبية داخل بيئتها الطبيعية، نظرا لانغماسه اللغوي في المجتمع، وتواصله الدائم والمستمر بهذه اللغة، خاصة إذا تعلمها داخل فصول دراسية منظمة، واستعملها في مجتمع اللغة التي يتعلمها.

أما كراشن (Krashen، ٢٠٠٩) فقد ميز في اكتساب اللغة الثانية بين طريقتين أو نظامين؛ هما اكتساب اللغة وتعلم اللغة، فقد اعتبر الاكتساب اللغوي عملية لا واعية يطور بها الأطفال قدراتهم وكفايتهم اللغوية، لكن الاكتساب في نظره لا يقتصر فقط على الأطفال بل يتعداهم إلى البالغين، لذلك يمكن الحديث عن الاكتساب اللغوي لدى الكبار، نظرا لأن الجهاز الذي يمتلكه الأطفال يمكن تطويره لدى البالغين، هذا من خلال فرضيته التي دافع فيها عن اكتساب اللغة الثانية، لكن اكتساب اللغة الثانية بالنسبة للكبار يطرح إشكالا، خاصة أن الجهاز اللغوي يكون قد اكتمل بشكل كلي في مرحلة الطفولة، لذلك يصعب أن نتحدث عن اكتساب لغوي بعد مرحلة الطفولة، نظرا لوجود صعوبات كثيرة لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، ويمكن حصر هذه المشكلات في صعوبة نطق بعض الحروف العربية التي لا توجد في اللغة الأم للناطق بغير العربية، وأيضا صعوبة التمييز بين الحروف نظرا لتشابهها ولوجود التنقيط والحركات (د،ذ،ر،ز،س،ش...)، وهذا ينعكس على الكتابة، فما ينطقه متعلم العربية يكتبه، فمثلا كلمة (قلم) قد ينطقها (ألم) ويكتبها كذلك، وقس على ذلك. بالإضافة إلى تعدد رسم الحرف حسب موقعه في الكلمة، وأيضا الكتابة من اليمين إلى اليسار. هذه بعض الصعوبات التي تخص العربية نطقاً وشكلاً وحرفاً، وهو الشيء الذي قد لا نجده في اللغات الأخرى.

وقد ينطبق اكتساب اللغة الثانية بالنسبة للكبار على اللغات اللاتينية التي تمتلك نفس الحروف وتتقارب في النطق، فما قد ينطبق على اللغات اللاتينية قد لا ينطبق على اللغة العربية، باعتبار نظامها الخاص الذي يختلف عن اللغات الأخرى، لكن هذا لا ينفي انغماس متعلم اللغة العربية في البيئة العربية من أجل تعلم وإتقان اللغة العربية، وإن بشكل تدريجي، لا يصل إلى درجة المتحدث بالعربية، وقد يصادف متعلم العربية من الناطقين بغيرها صعوبات أخرى تتمثل في وجود لهجات متعددة تحيل بينه وبين تعلم العربية، فما يتعلمه داخل الفصول الدراسية يجده مخالفا لما يوجد خارجها.

وبالتالي فعملية الاكتساب اللغوي تشير إلى العملية اللاواعية التي يكتسب فيها الطفل لغته الأولى أو اللغة الأم، وتكون هذه العملية غير مقصودة، وغير مخطط لها، فالأطفال يمتلكون القدرة على استنباط واستضمار قواعد لغتهم الأم، مما يساعدهم على إنتاج جمل جديدة، أو ما اصطلح عليه تشومسكي بالإبداعية، أي قدرة الطفل على توليد وإبداع جمل جديدة لم يسمع بها قط، من خلال ما يمتلكه من اللغة فقط. بخلاف تعلم اللغة الذي يكون بطريقة واعية ومخطط لها مسبقا، وقد يكون داخل الفصول الدراسية ببرامج تعليمية معدة مسبقا لتعلم اللغة الثانية أو الأجنبية، وتأتي مرحلة التعلم بعد مرحلة الاكتساب أي بعد مرحلة الطفولة.

اكتساب اللغة	تعلم اللغة
○ عملية لا واعية ○ تعليم غير مخطط له وغير منظم ○ اللغة الأولى، اللغة الأم ○ اكتساب طبيعي للغة في بيئة اللغة ○ في مرحلة الطفولة ○ لا يحتاج إلى مدرس ولا إلى برامج تعليمية	○ عملية واعية ○ تعليم مخطط له ومنظم ○ اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية ○ تعلم مصطنع في بيئة مصطنعة (فصول دراسية) ○ بعد مرحلة الطفولة ○ يحتاج إلى مدرس وبرامج تعليمية معدة مسبقاً

التعلم والاكتساب لا يعملان بمعزل عن بعضهما البعض ولكنهما أجزاء كامنة لنسق واحد متكامل من الخبرة، فمعرفة ما هو قصدي وما هو غير قصدي مهمة جدا فلا يمكن التفريق بينهما بصورة محددة وواضحة. والأكثر من ذلك أن بعض عناصر اللغة يكون استخدامها في البداية قصدي ثت تصبح بعد ذلك غير قصدية أو أوتماتيكية من خلال الممارسة. فالتعلم والاكتساب ضروريان في تطور الكفاية الاتصالية، وخاصة في المستويات العليا للمهارة (أكسفورد، ١٩٩٦).

٢.اكتساب وتعلم اللغة العربية لغة أولى ولغة ثانية ولغة أجنبية

٢.١. اللغة الأولى First Language

يطرح تعليم اللغة العربية إشكالا يتجلى في تعليمها باعتبارها لغة أولى أم لغة ثانية أم باعتبراها لغة أجنبية، فاللغة الأولى هي اللغة الأم أو اللغة المكتسبة أولا في المجتمعات المتعددة اللغات، كما قد تشير اللغة الأولى إلى اللغة التي يستخدمها الطفل وهو مرتاح. وغالبا ما يستخدم هذا المصطلح بشكل مترادف مع اللغة الأصلية، ويرمز للغة الأولى؛ (ل١)أو (L1). وقد اهتم تشومسكي بالعمليات الأساسية في اللغة الأولى عند الطفل، فقد أكد على أن الأطفال يولدون ولديهم قدرات خاصة في تعلم اللغة، فليس من الضروري تصحيح أخطائهم أو تعليمهم اللغة بشكل مباشر ومنظم، فهم يتعلمون

اللغة من خلال التعرض لها بشكل مباشر ومن استخدامهم اللغة في التواصل، فتتطور القواعد اللغوية لديهم دون وعي منهم. فقد ركزت الأعمال المبكرة في اكتساب اللغة الأولى على كيفية تطوير الأطفال لنظام لغوي يمكنهم من إنتاج جمل جديدة لم يسمعوا بها أبداً (Jack C. Richards، ١٩٩٦).

وقد تعتبر اللغة العربية اللغة الأولى في المجتمعات التي تتحدث العربية بشكل يومي، وتستخدمها في التواصل وفي أمور الحياة باعتبارها اللغة الأم أو اللغة الأصلية للبلد، وأمام هذا الوضع يمكننا أن نعتبر أن اللغة العربية قد تكون هي اللغة الثانية، نظرا لأن لغة التواصل اليومي تكون غير اللغة العربية الفصحى، فوجود اللهجات أو العاميات، يحيل دون اعتبار اللغة العربية لغة أولى، فهي تُعلم في المدارس بعد اكتساب الطفل لنسقه اللغوي وتشكله بشكل كامل، خاصة أن هناك بعض العاميات التي تختلف اختلافاً كلياً عن اللغة العربية الفصحى. فاللغة الأولى لا تتعلم في المدارس ولا تحتاج إلى برامج تعليمية لتعلمها، وإنما تكتسب في مرحلة الطفولة.

٢.٢. اكتساب اللغة الثانية Secind Language Acquisition(SLA)

لقد ميز "لاري سلينكر" Larry Selinker و"سوزان م.جاس" Susan M.Gass (٢٠٠٩) بين اكتساب اللغة الثانية وتعلم اللغة الأجنبية؛ فيشير مصطلح اكتساب اللغة الثانية إلى عملية اكتساب لغة أخرى أو أكثر من لغة بعد اللغة الأصلية؛ أي قد تكون لغة ثالثة أو رابعة، وبالتالي فهو يشير إلى أي لغة تم تعلمها بعد اللغة الأولى، سواء أ كان هذا التعلم في الفصول الدراسية بشكل منظم، أم عند التعرّض الطبيعي للغة (سلينكر، ٢٠٠٩).

وفي اللسانيات التطبيقية يقصد باكتساب اللغة الثانية؛ العمليات التي يطور بعا المتعلمون كفاياتهم اللغوية في اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية، وكثيرا ما يتم الاستفادة من هذه العمليات في استثمار المعلومات المفيدة في تدريس اللغة، وقد تم استخدام مصطلح اكتساب اللغة الثانية بشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية، من قبل الباحثين المهتمين بدراسة بناء وتطور الجملة وعلم الأصوات وبتحليل الخطاب المنطوق والمكتوب لدى متعلمي اللغة الثانية أو الأجنبية (Jack C. Richards، ١٩٩٦).

ويستخدم مصطلح تعليم اللغة كلغة ثانية عندما تصبح اللغة التي يراد تعلمها لغة التدريس والتعليم في المدارس، أو تصبح اللغة المشتركة بين عدة لغات أو لهجات محلية كما في بعض الأقطار الإفريقية. وفي هذه الحالة على أصحاب اللغة أن يحددوا أهدافهم وخططهم ومناهجهم وطرق تدريسهم كما لو كانوا سيقومون بتدريسها في مدارس الوطن الأصلي للغة. وغالبا ما تكون اللغة الثانية أساسية للحياة اليومية والحياة الوظيفية والمعاملات الرسمية في البلاد التي تعلم فيها (الناقة، ١٩٨٥).

ويمكن أن نعتبر أن اكتساب اللغة الثانية قد يكون بالنسبة للطفل الذي تعرض لأكثر من لغة في مرحلة الطفولة، فأصبح متعدد اللغات؛ أي أنه استضمر أكثر من نسق لغوي واحد، فقدرة الطفل على الاكتساب تكون أقوى في مرحلة الطفولة، إذ يمكنه أن يكتسب أكثر من لغة أو لغتين، ويمكن أن نتحدث عن تعلم اللغة العربية لغة ثانية، إذا كانت لغة الشخص الأولى أو لغته الأم غير اللغة العربية، ويكون نسقه اللغوي في اللغة الأولى قد اكتمل وتشكل بشكل كلي، ويتعلم بعدها اللغة العربية في الفصول الدراسية وفق برامج تعليمية معدة لهذا الغرض.

٣.٢. تعلم اللغة الأجنبية Foreign Language Learning

يقصد بتعلم اللغة الأجنبية؛ تعلم لغة غير أصلية في بيئة اللغة الأصلية للمتعلمين، كأن يتعلم ناطقون بالفرنسية اللغة الانجليزية في فرنسا، ويكون هذا غالبا في الفصول الدراسية، أما مصطلح اكتساب اللغة الثانية، يشير إلى تعلم لغة غير أصلية في بيئة تتكلم اللغة بشكل أصلي، كأن يتعلم ناطقون بالألمانية اليابانية في اليابان، وقد يتم هذا في الفصول الدراسية أو خارجها. فالتعلم في بيئة اللغة الثانية يتم في ظل إمكانية تواصل كبير مع الناطقين الأصلين بتلك اللغة الثانية، بينما لا يحدث هذا عادة في حال التعلم في بيئة لغة أجنبية (سلينكر، ٢٠٠٩).

وتعليم اللغة كلغة أجنبية يعني أن اللغة تعلّم في المدارس كمقرر دراسي أو كمادة من مواد الدراسة، ويكون الهدف من تعليمها تزويد الدارسين بالقدرة على الكفاية اللغوية التي تمكنهم من استخدامها في واحد من أغراض متعددة كقراءة الأدب والأعمال الفنية والتواصل أو في أغراض خاصة (الناقة، ١٩٨٥).

وقد اعتبر براون (Brown، ٢٠٠١) اللغة الأجنبية أي لغة يتعلمها المتعلم في بيئته كأن يتعلم الفرنسية في البلاد العربية، أما اللغة الثانية فتطلق على اللغة التي يتعلمها المتعلم في بيئتها الطبيعية، كالعربي الذي يتعلم الفرنسية في فرنسا.

في حين اعتبر (أوكان، ٢٠٠٥) اللغة الثانية هي اللغة التي تأتي في الدرجة من حيث الأهمية بعد اللغة الأولى، وهو ما يفرض وجود لغة أولى ولغة ثانية وثالثة، إلخ. مثل العربية التي هي اللغة الأولى في المغرب والفرنسية التي هي اللغة الثانية فيه، والإنجليزية التي هي اللغة الثالثة، وتتميز اللغة الثانية عن غيرها في كونها هي اللغة الأولى ظهورا في التدريس بعد (ل١)، وباعتبار أنها الأكثر انتشارا في المحيط الإداري والاقتصادي مما يجعلها تحتل الرتبة الثانية بعدا في التواصل، ويتحكم التاريخ والجغرافيا والعلاقات الاقتصادية والتجارية والتقدم العملي وغيرها في جعل لغة ما هي (ل٢). وأما اللغة الأجنبية فهي أعم من (ل٢) إذ تشمل اللغة الثانية والثالثة والرابعة، إلخ.

لا يتم التمييز بين اللغة الثانية واللغة الأجنبية في أمريكا الشمالية، ويستخدمان لنفس المعنى، أما في الاستخدام البريطاني فيتم التمييز بينهما، فاللغة الأجنبية لا يقصد

بها اللغة الأصلية لبد ما، وعادة ما يتم دراسة اللغة الأجنبية بقصد التواصل مع الأجانب. وقد يتم تدريسها كموضوع دراسي، ولكنها لا تستخدم كوسيط للتعليم في المداري ولا كإحدى وسائل الاتصال داخل الدولة (مثل؛ الحكومة، الأعمال، الصناعة...)، وتوصف الانجليزية كلغة أجنبية في فرنسا واليابان والصين. هذا بخلاف اللغة الثانية التي لا تعتبر لغة أصلية في البلد، لكنها تستخدم على نطاق واسع كوسيلة للاتصال سواء في التعليم أو الحكومة أو الإدارة، وتستخدم عادة إلى جانب لغات أخرى (Jack C. Richards، ١٩٩٦). وتبقى اللغة العربية قليلة الاستخدام وحبيسة الأوراق والمراسلات الرسمية، رغم اعتبارها اللغة الأولى في بعض الدول العربية.

والفرق بين تعلم اللغة الثانية وتعلم اللغة الأجنبية حسب (أكسفورد، ١٩٩٦) يكمن في مكان تعلم هذه اللغة وفي الوظائف الاجتماعية والاتصالية التي تؤديها اللغة في هذا المكان. فاللغة الثانية لها وظائف اجتماعية واتصالية بداخل المجتمع الذي يتعلم فيه المتعلم هذه اللغة. وعلى عكس ذلك فإن اللغة الأجنبية لا تلعب أدوارا اجتماعية أو اتصالية ملحة بداخل المجتمع الذي يتعلم هذه اللغة. وإنما يتعلمها المتعلم لاستخدامها في عملية الاتصال في مكان آخر.

٣. واقع تعلم اللغة العربية لغة أولى ولغة ثانية ولغة أجنبية

من خلال تجربتنا في ميدان تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، نلاحظ أن أغلب الطلبة الأجانب الذين يأتون من أمكان متعددة من أوربا أو آسيا لتعلم اللغة العربية في المغرب، يأتون وهم محملين بأفكار عن المغرب والمغاربة ومنها؛ أنهم سيتعلمون اللغة العربية في بيئة ناطقة باللغة العربية، كأن يتعلم ناطقون بالإيطالية أو اليابانية اللغة العربية في المغرب، مما سيساعدهم على الاندماج في المجتمع المغربي واكتساب اللغة العربية وتعلمها بسهولة، لكنهم يصطدمون بواقع أكثر تعقيدا، وبلهجة مختلفة كلياً أو جزئيا عن اللغة العربية، نظرا لأن المغرب فيه خليط ومزيج من اللهجات المختلفة عن اللغة العربية الفصحى، مما يضع الطالب الأجنبي في مشكل آخر، يتمثل أساسا في صعوبة الاندماج داخل الوسط المغربي، وفي فهم ما يتم تداوله سواء داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها من لهجات مختلفة.

لذلك يلجأ بعض الطلبة إلى تعلم أساسيات اللهجة المغربية الشائعة، من أجل استخدامها والتواصل بها في المواقف اليومية. وقس على ذلك في الدولة العربية الأخرى. لذلك يصعب أن نتحدث عن تعلم اللغة الثانية باعتبارها هي تعلم لغة غير أصلية في بيئة تتكلم تلك اللغة بشكل أصلي في الدول العربية وأيضا في بعض الدول الأجنبية. نظرا للتباعد الحاصل بين اللغة الهدف واللغة الأم أو اللغة الأولى.

إذا نظرنا إلى اللغة العربية في ظل ثنائية اللغة الثانية واللغة الأجنبية، نجد أنها في ضوء تاريخها ومدى انتشارها في البلاد غير العربية لم تحتل مكانة اللغة الثانية إطلاقاً،

وإنما ينظر إليها كلغة أجنبية وطالما أن أية لغة لا تأخذ طريقها لأن تكون لغة ثانية في بلد من البلدان إلا عن طريق استعماري إجباري فنحن لا نتوقع للغة العربية أن تكون كذلك، ومن ثم فالاتجاه الآن والذي أخذ انتشار اللغة العربية يأخذه هو الاتجاه نحو تعلّمها كلغة أجنبية ومن ثم يجب أن ينظر في مناهج تعليمها للناطقين بغيرها، وطرق ووسائل هذا التعليم في ضوء هذا المفهوم (الناقة، ١٩٨٥).

فنجد مثلا اللغة الفرنسية أو الانجليزية تحتل مكانة اللغة الثانية في بعض الدول العربية التي تعرضت للاستعمار الفرنسي أو الانجليزي، وتعتبر اللغة العربية في هذه الدول العربية اللغة الأولى أو اللغة الأم التي يتم التعامل بها في المعاملات الرسمية والمراسلات الحكومية، وقد لا تعتبر لغة التواصل اليومي نظرا لوجود لهجات متعددة متفرعة عن اللغة العربية.

وقد خلص (مالك، ٢٠١٣) إلى "أن مصطلح اللغة الثانية يعني اللغة التي تُدرس في المدارس وتستعمل أيضا للتواصل داخل المجتمع إلى جانب اللغة الأولى، في حين يعني مصطلح اللغة الأجنبية اللغة التي تُدرس داخل المدارس لكنها لا تستعمل في المجتمع لغة للتواصل."

ويمكن أن نعبر عن التمايز الحاصل بين اللغة الأولى واللغة الثانية واللغة الأجنبية بالشكل التالي؛

تأتي اللغة الأولى في مرحلة الاكتساب أي مرحلة الطفولة، وبعدها نتحدث عن تعلم اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية، فأي تعلم يأتي بعد اكتساب الطفل للغته الأولى أو تعلم نظامي داخل الفصول الدراسية هو تعلم للغة ولقواعدها. وأي تعلم خارج المدرسة وفي مرحلة الطفولة فهو اكتساب لغوي لا واعي، وقد تعتبر اللغة العربية لغة ثانية في بلد عربي يتحدث بلهجات مختلفة عن العربية، وبالتالي يتعلم المتعلم اللغة العربية داخل الفصول الدراسية ويكون أول لقاء له مع اللغة داخل الفصل، ويكون ذلك بعد اكتسبه للغته الأم (اللهجات المحلية) وتشكّل قدرته اللغوية.

وفي حالات استثنائية قد نجد أطفال يتحدثون أكثر من لغة واحدة في مرحلة الاكتساب أي الطفولة، نظرا لوجود بيئة لغوية متعددة، فقد نجد الأب يتحدث بلغة (أ) والأم باللغة (ب)، وطفلهما يتحدث باللغتين معا (أ) و (ب). فمثلا؛ في الوسط المغربي نجد أطفالا يتحدثون بلهجات مختلفة قبل التعلم النظامي، كأن يتحدث الطفل بالدارجة

المغربية والأمازيغية. وقس على ذلك في جميع اللغات. لأن ملكة الطفل في مرحلة الاكتساب تكون أقوى ويستطيع اكتساب أي نسق لغوي كيفما كان، بشرط توفر البيئة الحاضنة للغات المتعددة، وقد يتحدث حتى أكثر من لغتين، إذا وجد متحدثا ثالثا داخل نفس البيئة اللغوية.

كما يمكن اعتبار اللغة العربية الفصيحة (النهيبي، ٢٠١٧) لغة أولى من الدرجة (ب)، بالنسبة لمتكلم الدارجة العربية، باعتبارها لغته الأولى من الدرجة (أ). وتكون العربية الفصيحة لغة أولى من الدرجة (ج)، بالنسبة لمتكلم الأمازيغية مختلطة بالدارجة العربية، وتكون لغة ثانية من الدرجة (أ)، بالنسبة لمن لا يتكلم إلا الأمازيغية، بينما تكون اللغة الأجنبية، كالفرنسية مثلا، لغة ثانية من الدرجة (ب)، بالنسبة للمتكلمين المغاربة عموما. ويمكن التمثيل لذلك، كما يلي:

	متكلم الدارجة المغربية	متكلم الأمازيغية والدارجة	متكلم الأمازيغية فقط
اللغة العربية الفصيحة	لغة ١ ب	لغة ١ ج	لغة ٢ أ
اللغة الأجنبية	لغة ٢ ب		

ويبقى الحسم في تعلم اللغة العربية كلغة ثانية أو كلغة أجنبية، للوسط الاجتماعي والثقافي الذي تُعلم فيه، ولطبيعة اللغة الأم، ولطبيعة متعلم اللغة العربية. فقد تُعلم اللغة العربية كلغة ثانية بالمغرب بالنسبة للمتعلم الذي لا يتحدث العربية وإنما يتحدث الأمازيغية أو لهجة أخرى مخالفة كليا للعربية، هذا إذا لم يتعلم الدارجة المغربية والأمازيغية معا في مرحلة الطفولة، ويمكن أن نعتبر اللغة العربية لغة ثانية إذا كانت هي اللغة التي يضيفها الشخص بعد لغته الأم التي اكتسبها في مرحلة الطفولة، والتي تختلف من حيث نظامها وقواعدها عن اللغة العربية. فأي لغة تأتي بعد اللغة الأم يمكن اعتبارها لغة ثانية.

خاتمة

كان هدفنا من هذه الدراسة أن نبين الفروق الجوهرية بين الاكتساب والتعلم، ونوضح إشكالية وموقع تعلم اللغة العربية لغة أولى ولغة ثانية ولغة أجنبية، انطلاقا من الواقع العملي ومن تجربتنا الشخصية في تدريس اللغة العربية للطلاب الأجانب بالمغرب. وخلصنا في الأخير إلى أن اللغة الأولى تأتي في مرحلة الاكتساب أي مرحلة الطفولة، وبعدها نتحدث عن تعلم اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية، فأي تعلم يأتي بعد اكتساب الطفل للغته الأولى أو تعلم نظامي داخل الفصول الدراسية هو تعلم للغة ولقواعدها. وأي تعلم خارج المدرسة وفي مرحلة الطفولة فهو اكتساب لغوي لا واعي، وقد تعتبر اللغة العربية لغة ثانية في بلد عربي يتحدث بلهجات مختلفة عن العربية،

وبالتالي يتعلم المتعلم اللغة العربية داخل الفصول الدراسية ويكون أول لقاء له مع اللغة داخل الفصل، ويكون ذلك بعد اكتسبه للغته الأم (اللهجات المحلية) وتشكّل قدرته اللغوية. كما أنه لا يمكن أن نفصل بين الاكتساب والتعلم فهما عمليتان وسيرورتان يساهمان في تشكل وتطور القدرات اللغوية والتواصلية للفرد، سواء في مرحلة الطفولة أو بعدها. كما أن الحسم في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية أو كلغة أجنبية يبقى رهينا بالوسط الاجتماعي والثقافي الذي تُعلم فيه، ولطبيعة اللغة الأم، ولطبيعة متعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها.

المراجع والمصادر:

- أكسفورد، ريبيكا (١٩٩٦): استراتيجيات تعلم اللغة، ترجمة السيد محمد دعدور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- أوكان، عمر .(2005) .اللسانيات وتعليم اللغات .المغرب، أعمال ندوة تعليم اللغات، نظريات ومناهج وتطبيقات، سلسلة الندوات، منشورات كلية الآداب بمكناس، مطبعة آنفو برانت، المغرب.
- غريب، عبد الكريم (٢٠٠٦): المنهل التربوي، معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، الجزء الأول والثاني، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- الفوزان، ابراهيم (٢٠١٠): إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، نشر العربية للجميع، السعودية.
- لاري سلينكر Larry Selinker وسوزان م.جاس Susan M.Gass (٢٠٠٩): اكتساب اللغة الثانية، مقدمة عامة، الجزء الأول، ترجمة ماجد الحمد، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، السعودية.
- مالك، حسن (٢٠١٣): اللسانيات التطبيقية وقضايا تعليم وتعلم اللغات، منشورات مؤسسة مقاربات، مطبعة آنفو برانت، فاس، المغرب.
- الناقة، محمود كامل (١٩٨٥): تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، أسسه.مداخله.طرق تدريسه، سلسلة دراسات في تعليم العربية لغير الناطقين بها، جامعة أم القرى، السعودية.
- النهيبي، ماجدولين (2017): تدريس اللغة العربية وجديد النقل الديداكتيكي، صرف، صوت، معجم، منشورات كلية علوم التربية، مطبعة الرباط نت، المغرب.
- Brown, H.Douglas (2001) : Teaching by Principles An Interactive Approach to Language Pedagogy, Second Edition, Addison Wesley Longman, Inc, San Francisco, California.
- Jack C. Richards, Johan Platt, Heidi Platt (1996) :Longman Dictionary Of Langugage Teaching And Applide Linguistics , Fifth Edition, Longman Group Uk Limited.
- Stephen D Krashen (2009) : Principles And Practice In Second Language Acquisition, University Of Southern California, Pergamon Press Inc.

- Stern.H.H. (1991). Fundamental Concepts of Language Teaching. seventh impression, Oxford, Oxford University Press.